الجزء الثاني

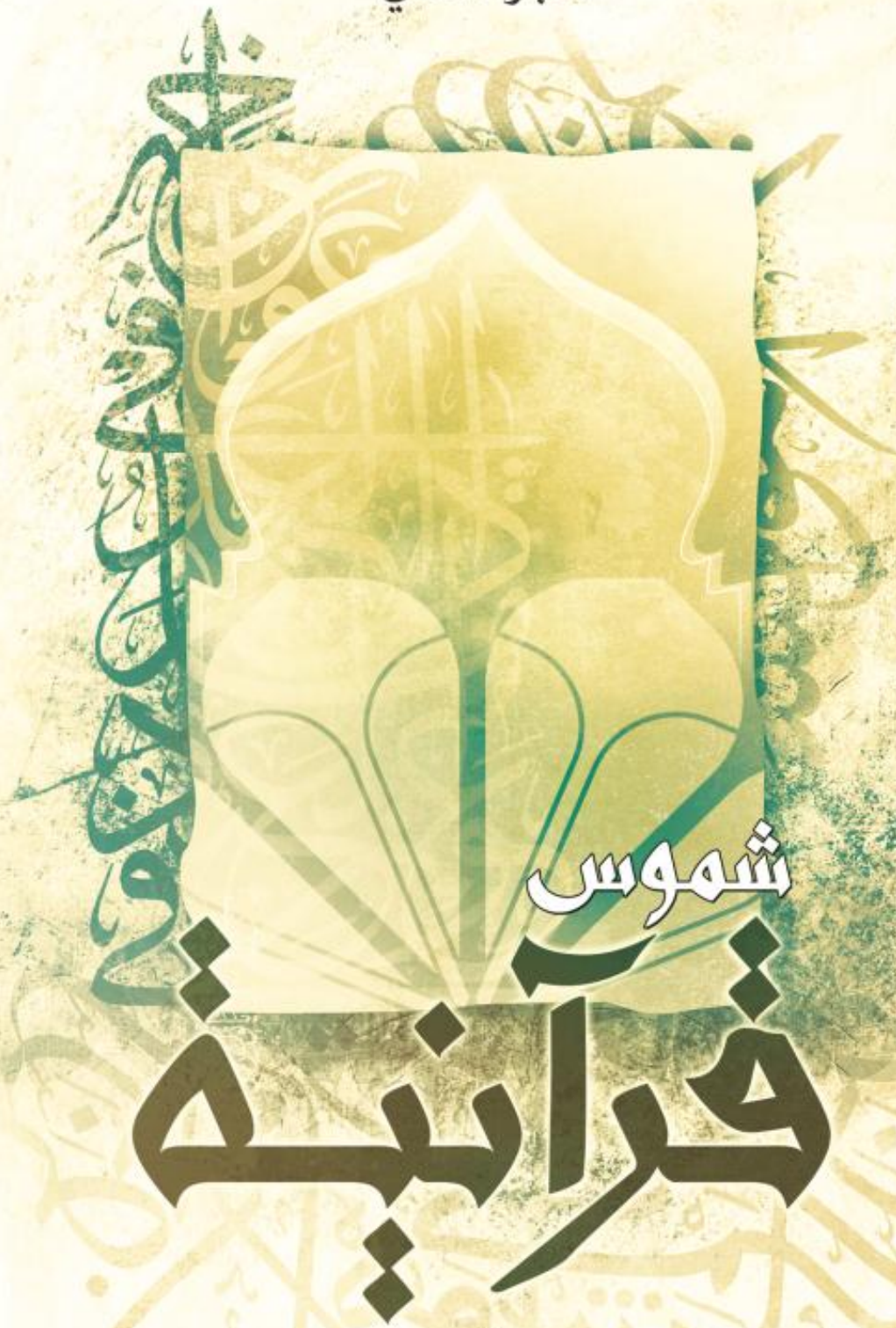

شموس قرآنية

مهندس
عارف أحمد عباس
(ابو العينين)

شمـــوس قـــــرآنيـــة

الجزء الثاني

المهندس

عارف أحمد عباس

(أبو العينين)

الطبعة الأولى

1434 **هجرية**____ **الموافق** 2013

المحتويـات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	1
المقدمة	3
الشمس الأولى	6
الشمس الثانية	9
الشمس الثالثة	10
الشمس الرابعة	12
الشمس الخامسة	14
الشمس السادسة	16
الشمس السابعة	18
الشمس الثامنة	20
الشمس التاسعة	22
الشمس العاشرة	24
الشمس الحادية عشر	26
الشمس الثانية عشر	28
الشمس الثالثة عشر	30
الشمس الرابعة عشر	32
الشمس الخامسة عشر	35
الشمس السادسة عشر	37
الشمس السابعة عشر	39
الشمس الثامنة عشر	41

الشمس التاسعة عشر 43
الشمس العشرون 45
الشمس الحادية والعشرون 47
الشمس الثانية والعشرون 49
الشمس الثالثة والعشرون 51
الشمس الرابعة والعشرون 53
الشمس الخامسة والعشرون 55
الشمس السادسة والعشرون 57
الشمس السابعة والعشرون 59
الشمس الثامنة والعشرون 61
الشمس التاسعة والعشرون 63
الشمس الثلاثون 65

الإهداء

السائرون إلى الله!
بقلوب ضارعة، وعزيمة راسخة!
كابدوا ظلمات الحيرة !
وفترات الأحزان!
بحثوا عن نافذة صغيرة للإبصار!
فأكرمهم الله المولى !
بشمس الحقيقة !
المنبثقة من شمس التدبر، وشمس التفكر!
سطعت لهم من كتاب الله الكريم!
إليهم أهدي هذه الشموس.
محبكم!
يشتاق للحاق بكم!
(أبو العينين)
م. عارف عباس.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم كل شيء منك، وكل شيء بك، وكل شيء إليك.

اللهم أفتح لنا أبواب الرحمة، وأنطقنا بالحكمة، و أجعلنا من الراشدين

فضلا منك ونعمة.

أما بعد:

فهذا الجزء الثاني من سلسلة "شموس قرآنية" أقدمه إلى العلماء العاملين ...إلى السادة المربين...إلى أهل الفضل والصلاح إلى دعاة الخير والفلاح... إلى الشباب المؤمن برسالته .... وحتى الغافل منهم طمعاً في صحوته.

إليكم أيها الأحباب أبعث الشموس القرآنية!

ففي كل يوم من أيام عمرك، تشرق عليك شمس كونية!

يستظل الفؤاد، وترتاح النفس، وتتزود الروح بشمس قرآنية!

عندها تتحقق غاية كبرى، ونعمة عظمى، وسعادة لا توصف!

إذ تشرق فيك شمسك الإنسانية !

تلك الحالة، وذاك الوصف، وذاك الشعور الذي لا يوصف!

إنما هي هبة من الله الرحمن، لعباد الرحمن!

_لا يعرفها إلا من ذاقها!

_أو تلمسها ممن ذاقها!

_أو بكى من كثرة ذنوبه!

وإني وإن كنت الأخير فيهم، لأرجو الله أن يتغمدني برحمته وفضله، فيجعلني وكل الأحباب من قرأ وتدبر، وفهم المراد والمقصد، فبلغهم الله المنزلة الأولى.

كما إني لأرجو غاية الرجاء من الله المولى، أن تكون هذه الصفحات صفعات للبعض، تزيل الغفلة، وتطرد الشيطان وأعوانه الجهلة!

لتفسح الطريق،وتجعله واضحاً جلياً،ترى فيه الحقيقة،ساطعة كالشمس في رابعة النهار! فلا يكون بعدها إلا السير، على هداها، سيراً حثيثاً وسريعاً إلى الله! الرب الخالق المولى! سبحانه وتعالى .

فمرحباً بصفعات مؤلمة، لكنها موقظة، ومشعرة بالندم والحسرة على التفريط في جنب الله! وقبل فوات الأوان!

تماماً كصفعة النجاشي ملك الحبشة، لصديقه عمرو بن العاص(رض).

فما أعظمها من نعمة، حين تتدارك المرء، رحمة الله!

فعندها يوفق المرء في إنقاذ نفسه، وإيمانه، وتدارك ما فاته من عمره القصير!

فعمر الإنسان الغافل قصير، ولو كان كألف سنة.

مادام لم يبصر!

لم يسمع! لم يعقل!

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٨.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ١٠

وفي الأخير إلى الله وحده، أتوجه بهذا العمل، راجياً منه حسن القبول وجزيل الجزاء وكريم الثناء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه وسلم.

م. عارف أحمد عباس
(أبو العينين)
اليمن- صنعاء
Aabbas55555@hotmail.com

الخميس
2013/10/10م

(الشمس الأولى)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي

تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١

الكل خلق من نفس النفس الواحدة، وهي نفس آدم، وبعض النفس لا يكون أفضل من بعضها.

قصة خلق الإنسان منذ آدم وإلى يوم القيامة، هي قصة مثيرة ومريرة.

أنا من أنا ؟

أنت من أنت ؟

ونظن ظن السوء بأننا نعرف الإجابة، حيث تغرنا إجابة الانتماء إلى الأنساب والألقاب والبلدان.

إجابات متواضعة، ولكنها تنحرف بنا عن معرفة حقيقة النفس الكامنة بين أضلعنا!

حقيقة الهوية، وطبيعة الوجود وغايته.

ولم يكن صدفة أن أول ما نزل من القران:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾

لأن معرفة النفس هي أول مدارج معرفة الله!

فالذي ينصت إلى خطاب الفطرة في أعماق نفسه، يسمع نداءً قريباً،

ينبع من كل ذرة من ذراته، يدفعه بقوة إلى معرفة من أسدى إليه نعمة الوجود، ووهبه نعمة الحياة.

ذلك أن الإنسان جبل على حب من أحسن إليه.ولا غرابة أن نجد قبل كل أمر تعبدي في القران!

قوله تعالى "ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ "!

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ

هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ

وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠

إنه يسألهم أداء حق الخالقية، المفروض عليهم، وفي ذمتهم!

وأن لا يشركوا به شيئاً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ

لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الشمس الثانية)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ..... ﴾ الحجرات:١٣

التعارف!

هو سبيل المؤمنين.

ووسيلتهم التعبدية للتعرف إلى الله عز وجل.

وهي غاية الخلق الرباني للبشرية.

وما التعارف الاجتماعي(شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ) إلا وسيلة للتعارف الروحي،

كما دلت عليه تتمة الآية:

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

وقول رسول الله(ص):

(الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها أختلف).

فالمؤمن باحث عن هذه الأرواح المجندة في صف الله، والسائرة في الطريق إليه، يتعرف على مجالسهم وعلمهم وسلوكهم، قد رزقه الله بصيرة التعرف إلى خيار المؤمنين، وكان ممن يقدر الناس على حسب ما ينطوون من حقائق الإيمان ومعاني الروح!

فالمحبة في الله شعاره، ووسيلته في ربط صلته بالناس، محسنهم ومسيئهم؛ طلبا في التعلم والتعليم، أو رغبة في الصلاح والإصلاح.

وعرف ما معنى زيارة أخ له في الله أو التعرف عليه.

وعرف دلالات زيارة عبد الله بن عمر،وبياته ثلاث ليال عند أعرابي، شهد له رسول الله بالجنة.

ذلك لأن للمؤمن حكم ينطق بها، وأحوال ربانية تفيض منه، وتصرفات سلوكية تصدر عنه.

وكل ذلك زاد عظيم، وبركات وفيرة تكون من نصيب أخيه المتعرف عليه.

وكفى بذلك علما عظيما تشد له الرحال!

فالتعرف على الأتقياء عند الله، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ونال من فيضها وأنوارها.

(الشمس الثالثة)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ..... ﴾الحجرات:١٣

التفاخر!

هو سبيل المجرمين المتكبرين!

ووسيلتهم الشيطانية للتمرد والعصيان لأوامر الله عز وجل!

هي إذن علة العلل، ومبدأ الزيغ والزلل.

فعجبا لمن كان أصله من طين، ونسله من ماء مهين!

كيف يتكبر أم بماذا يفتخر؟

إنما هو جرة من طين، ستنكسر بعد وقت وحين.

يا جرة فيها قطرة، ستخرج قريبا!

إما صعودا إلى عليين، فيا للمسرة، يا للمسرة!

وإما هبوطا إلى سجين، فيا للحسرة ثم يا للحسرة.

فمن كان لا يعلم مصيره، كيف يتفاخر؟

إن يهوديا استفز إبراهيم ابن ادهم،قائلا:أيهما أطهر ذيل كلبي أم لحيتك

رد الحكيم: إن كانت لحيتي هذه تدخلني الجنة،فهي اطهر من ذيل كلبك.

وان كانت تدخلني النار، فذيل كلبك اطهر من لحيتي.

لقد نهى المصطفى(ص)أصحابه الكرام أن يتفاخروا بآبائهم، قائلا:

"إنما هم فحم من جهنم".

المتفاخر غابت عنه هذه الحقيقة المرة، فهو في غيه يتخبط يمنة ويسرة.

يدخل عليك شامخا بأنفه، نافشاً ريشه، وبدون مقدمات، يصرخ في وجهك :

أنا من نتن ياهو.

أنت من؟

فلا يسمع إلا صدى صوته، منعكسا:

من أنت؟

ياهو نتن من أنا ؟

انعكاس وإرتكاس يعبر عن السقوط المهين في الوحل والطين.

ومن درر الشعراوي:

(إن مجموع كل إنسان يساوي مجموع كل إنسان أخر وذلك هو عدل الله.

فإذا كنت أحسن من إنسان في شيء فأبحث عن النقص فيك).

(الشمس الرابعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

وقال رسول الله(ص):

(إنما الناس رجلان: مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله).

هكذا الناس مع اختلافهم، وخلقهم شعوبا وقبائل، يصيرون ويختزلون إلى صنفين لا ثالث لهما.

مؤمن تقي كريم على الله، ولو كان ما كان!

وفاجر شقي هين على الله، ولو كان ما كان!

ثم في الآخرة، الناس ببساطة شديدة فريقان.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾الشورى: ٧.

فتسقط جميع الفوارق والقيم المزيفة التي يتحاكم إليها الناس ويتكالبون عليها، لترتفع قيمة واحدة، هي التقوى.

فالكرم الحقيقي النافع، هو الكرم عند الله! ولا يكون ذلك إلا بالتقوى.

ففيها الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾يونس: ٦٢ – ٦٣.

فإذا جاء الأمر العظيم(التقوى)،لا يبقى الأمر الحقير(التفاخر)معتبرا!

فعند مجيء الرعد القوي لا يسمع دوي جناح الذباب!

وعند طلوع الشمس تختبئ الجرذان في جحورها.
فلو كان لدينا إناء من نحاس، وأخر من فضة!
لأمكن التفضيل بينهما لاختلاف مادة الصنع!
وهذه لا تنطبق على الناس!
فالكل خلق من مادة طينية.
ويمكن التفضيل لاختلاف الصانع!
وهذه منفية!
لأن الله تعالى هو وحده الصانع والخالق.
ولا يكون التفضيل إلا بأمور تلحق بالخلق بعد وجودهم، وأشرفها التقوى والقرب من الله تعالى .
يا طالبا فخرا بالنسب
إنما الناس لأم وأب
أتراهم خلقوا من ترب
وخلقت أنت من ذهب
قد صرت أخا اللهب
لما هوى محترقا كالشهب.

(الشمس الخامسة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

آية الفتح في يوم الفتح!

ليس صدفة، أن يقرأ علينا رسول الله(ص) هذه الآية الكريمة، في هذا اليوم العظيم، عند الله العظيم الكريم.

هذا الدين جاء ليصير واقعا ملموسا!

وليس نصوصا تقرأ وآيات تتلى فقط !

وسرعان ما جاء التنفيذ!

(ليصعد بلالا).

السيد الكريم الشريف، ذو الفضل والمكانة، عند الله وعند رسوله!

وعند أبوبكر وعمر وعثمان وعلي!

وسائر الصحابة والمؤمنين!

يصعد على ظهر الكعبة الكريمة الشريفة عند الله تعالى!

مؤذنا ومعلما بميلاد المجتمع الجميل.

عندها ولى إبليس قهراً أو فزعاً، وصرخ من حالفه من أصحاب النفوس المريضة:

_بلال!

_العبد الحبشي الأسود!

_الغراب الأسود مؤذنا!

فلا فائدة ولا ضرر، من نعيقهم وصراخهم!

قديما وحديثا!

فقد جاء الحق وزهق الباطل.

لقد كان صعود بلال، رمزا ودلالة لمعاني عظيمة!

فهمها الصحابة الكرام، وعاشوها واقعا حقيقيا جميلا.
فلما أنتكس الناس، وحصل الفصام النكد بين الأقوال والأفعال!
تولد مجتمع، قبيح المنظر، كريه الرائحة!
وصارت الحياة كلها نتن في نتن!
وصنم يسجد لصنم!
ليتولى أمرنا عملاء نتن ياهو .
عد يا بلال، برب الكعبة، وأصعد على ظهرها!
أصعد فوق أظهر المؤمنين!
فهذا شرف لهم!
وأي شرف.
بلال !
يا رمز الفضيلة، تقدم وامسك بالزمام!
فقد ولى حكم الفصيلة، وأبن القبيلة.

(الشمس السادسة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

لما سئل رسول الله(ص)عن أكرم الناس لم يتبادر إلى ذهنه الكريم إلا الكرم الذي يجئ من العمل!

لذلك أجابهم (ص) بقوله:(أكرمهم عند الله أتقاهم).

ولما صدرت رائحة النتن أو كادت، وبأنهم يقصدون الحسب وهو مفاخر الآباء.

أجابهم(ص):(يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله).

لم ينظر نظرة ضيقة إلى العرب وحدهم،وهو عربي،والسائلون عرب، بل ذهب فكره الشريف إلى الحقيقة الواقعة، فأخبرهم منصفا أن أكرم الناس حسبا يوجد في بني إسرائيل!

فلما علم أنهم يريدون التفاضل حصراً في العرب!

أجابهم بجواب حكيم، متواضع كريم!

فقال رسول الله(ص):

(خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا).

فكل من كان شريفا في الجاهلية بخلقه وعمله، فهو شريفا في الإسلام إذا تفقه في دين الله وتمسك به.

وإذا لم يكن كذلك، فهو من شرار العرب أن كان عربيا، ومن شرار قومه أيا كان!

فأرجع الأمر إلى التفقه في الدين علما وعملا، وهكذا طابق الختام الابتداء.

وهكذا تختم الآية الكريمة بتنبيه المؤمنين وتحذيرهم!

وأن يراقبوا الله تعالى!

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

فالكل تحت سمعه، وبصره، وعلمه بظاهر القول،وخبرته بباطن العمل.

سبحانه وتعالى !

(الشمس السابعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾مريم:٣٢

لا يعلم المرء أنه مهما بلغ من العمر، لا يزال طفلا !
ولا يشعر بهذه الحقيقة، إلا عندما يفقد إحدى أبويه.
هل رأيت كيف يحوم الطفل بين الغرف باكيا، يبحث عن أمه، إذ غابت عنه لحظات.
مفارقة قصيرة، لكنها أذهلته، وشلت حركته!
فلا طعام ولا شراب حتى يلتقيا بالأحضان.
أما أن تنتقل الأم أو الأب بالكلية، جسدا وروحا من دار،وحياة،وعالم!
إلى دار، وحياة، وعالم أخر!
الصلة بينهما روحية بحتة،حيث انقطعت الأسباب،وحال بينهما الموت.
صلة لا تنقطع أبدا، حتى يعود اللبن إلى موضعه!
أخرجته من بطنها، إلى هذه الدنيا، ثم غادرت!
أيمضي الأمر بهذه السهولة والبساطة.
كلا!
من كان سبباً في دخول ولده إلى هذه الدنيا، عندما يغادر، تاركا فلذة كبده فيها!
عندها تفيض مشاعر صادقة من الحزن، والشوق إلى اللحاق به.
فان كان البر(بفتح الباء) نجاة من الغرق!
وان كان البر(بالضم) نجاة من الجوع!
فان البر(بالكسر) نجاة من النار!

ولاشك أن الأخير أفضل مما سبقهما!
أمر معنوي غلب أمرين ماديين عظيمين!
وهذه واحدة من دلائل عدة، تبين أن فعل الخير أسهل عمل!
عندما تسمو النفوس، وتصفو القلوب.

﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾البقرة: ٢٦٣.

(الشمس الثامنة)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾.....

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾فصلت: ٣٠ – ٣٦.

آيات تشد إليها رحال المصلحين الربانيين!

من فصلت، فصلت المنطلقات تفصيلا، والغايات تحديدا، والوسائل ضبطا.

منهج قرآني متكامل في الدعوة إلى الله.

فالمسلم المستقيم، لابد أن يكون داعية إلى الخير، فرداً كان ،أو ضمن جماعة.

والمجتمع المستقيم، إنما هو بطبيعته حركة دعوية، وبفطرته جماعة إصلاحية.

فالتبليغ والدعوة إلى الله، مهمة الأنبياء والرسل الكرام،المهمة السامية والوظيفة الجليلة.

ولا غرابة أن يكون أجل الأعمال؛عمل هو غاية الخلق،وسبب الوجود.

فالخير كل الخير في معرفة الله، والدعوة إليه.

ومن هنا كانت شهادة الله بالخيرية لهذه الأمة.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾آل عمران :١١٠

لقد خلقنا الله، لنعرفه ونعرفه؛ وفي ظلالهما معا نسعد في الدارين.
فمن عرفه حقا؛ لا تجده إلا معرفاً به صدقاً .
فعندما يتمثل الحق والحقيقة في حياة المؤمن، سلوكاً وواقعاً، أفعالا وأقوالاً، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر!
يتحقق عندها:
_صفاء قلبه، ونقاء روحه!
_بل سر وجوده، وشرط بقائه!
_وبخلاف ذلك نعاقب كأفراد، وكمجتمع، وكأمة.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ هود: ١١٧.

وفي التاريخ، ابلغ العبر!
وأعظم الشواهد !

(الشمس التاسعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾هود: ١١٧

جند الله!

هم ..هم..

همهم في ليلهم ونهارهم!

وفي أكلهم وشربهم!

الوظيفة المقدسة التي قرنت بالصلاة.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾لقمان: ١٧

كيف نبلغ؟ ومتى؟ ولمن؟

هي شغلهم الشاغل وتفكيرهم الدائم.

هم!

لا غيرهم!

صمام أمان من المصائب السماوية والأرضية.

الفرد فيهم، كالنجم القطبي في السماء!

يهتدي به الناس إلى سواء السبيل.

يصدعون بكلمة الحق في وجه الإرهاب والفوضى، وبأعلى صوتهم قائلين:

"هذا الطريق مسدود، لا يمكنكم عبوره"

عباد الله!
نذروا أنفسهم له، يصولون ويجولون بين الناس، يدعونهم إلى الخير، ويجنبونهم الشر!
ثم _من جهة أخرى_ تنظر متفكراً، ومتعجباً، فتجد:
كم ! وكم !
من كان بالليل قائما!
وبالنهار صائما!
هلك مع الهالكين!
لم يجعل الله لتبتله ودعائه،أي ميزان أو إعتبار؛لتركه الوظيفة المقدسة فذنب البرئ في جريمة أقترفها مجرمون، هي صمته وسكوته .
فالسكوت عن الجريمة وعدم إنكارها، إثم وجريمة أخرى لا تقل بشاعة ينتج عنها:
بقاء المنكر واستمراره ! وتجدده وتكراره ! وشيوعه وانتشاره!
قال رسول الله(ص):(إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها).
قال الشعراوي:
(إذا لم تستطع قول الحق، فلا تصفق للباطل).

(الشمس العاشرة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾ المزمل: ١-٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ ﴾ المدثر: ١ – ٢.

لطف ولين في الخطاب، من الكريم إلى الحبيب، إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته.

ملاطفة، ممزوجة بالرأفة، لينشطه، ويهيئه لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ المزمل: ٥.

نداء علوي جليل، بأمرين عظيمين ثقيلين متلازمين، متتابعين كتتابع السورتين.

في الليل يدعو ربه، وفي النهار يدعو الناس.

فحياة المؤمن، دعاء في الليل، ودعوة في النهار.

_استمداد ثم إمداد!

_أخذ ثم عطاء!

_شحن ثم تفريغ!

والأول الصعب، عون للآخر الأصعب!

فالدعوة إلى الله، وإنذار الناس، وتحذيرهم من الشر في الدنيا ومن النار في الآخرة!

أصعب وأثقل ما يكلفه إنسان من المهام في هذا الوجود.

﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ الأحزاب: ٧٢.

_عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض!
_عبء العقيدة!
_عبء الكفاح والجهاد في معارك شتى!
ميادين متكاملة، فلا يطغى جانب على جانب أخر.
فالكل إنما خلق لوظيفة الدعوة إلى الله، من موقعه، وبما أتاه الله من فضله.

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾القصص: ٧٧.

إنها إذن دعوة للتجرد من كل :
_عرض يغري!
_ولذاذة تلهي!
_وراحة ينعم بها الخليون!
_ونوم يلتذه الفارغون!

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾ الشرح: ٧ - ٨

(الشمس الحادية عشر)

دخلوا عليه، يحملون السلاح بأيديهم!

خرجوا من عنده، يحملون الإيمان في قلوبهم.

إنه الشهيد مصعب بن عمير !

رسول رسول الله إلى يثرب.

أمام هذا الداعية العظيم، زالت العقبات الكؤود، وصار بحق صائد القلوب.

أذاب الجليد، ومهد الطريق، وما ذاك إلا بإخلاصه وصدقه، ثم بحرارة خطابه، اللين الرقيق، واللطيف الشفيق!

أزال أغطية الشبهات،وقذارة الشهوات،من مرآة قلوبهم،حتى إذا سلط عليها بعضاً من أنواره، تجاوبت وتفاعلت! وخشعت وبكت!

فأسلمت لربها واستسلمت.

خاطبهم بعطف وشفقة قائلا :

(أو تقعد فتسمع، فو الله لا أقابلك بشيء حتى لو قطعت عنقي)

_أنات متألم !

_صرخات متوجع!

_نواح نوح!

_تطلعات متلهف!

يريد أن يشركهم معه، ليذوقوا ما ذاقه من حلاوة الإيمان، يفكر في مصيرهم، وابعد من ذلك، انه يستهين بالموت من أجلهم، ولا يرغب بما في أيديهم، راجياً ما عند الله.

فلا هم لمن نذر نفسه للدعوة إلى الله، إلا البحث عن سبل وطرق يحبب بها الله الخالق سبحانه، إلى الناس جميعا.

و من لم يحترق قلبه شوقا، وروحه عذابا، وعقله فكراً وهماً، فالأحرى به الصمت وعدم التكلم، موقناً أنه لن يجد أحداً يصغي إليه، ولو صرخ بأعلى صوته وحلف الأيمان المغلظة.

فالصمت هنا أبلغ من كل كلام ميت يقوله!

ومن كان في الظلام كيف يضئ للآخرين.

(الشمس الثانية عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾

لقمان: ١٧

إن الذي يقيم الصلاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ستتوالى عليه المصائب، فعليه بالصبر.

تلك حقيقة مرة، ولا مفر منها.

ولكن الداعية يقبلها، ويلقنها أقرب الناس إليه، بغلاف جميل من الشفقة والرحمة!

وذلك في ظلال(يا بني)و(يا أبت)و(يا قومي)!

إنه رجل الشفقة والرحمة قبل كل شيء، فالخشونة والإكراه والقوة، ليست من صفاته، ولا من أدواته، ولا يليق به شيء من الحدة والغلظة أو الشدة والفظاظة.

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾

آل عمران: ١٥٩

قال رسول الله(ص):(إنما أنا لكم مثل الوالد).

والداعية رهيف، وشديد الحساسية، تجاه ضلال الناس عن الحق،يؤلمه إعراضهم عن الله تعالى، ألما شديدا، ويظل طاويا لهذا الألم!

إن رأى نفسه عاجزة عن القيام بشيء! فليس له إلا القلق والحسرة.

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾الشعراء: ٣

القرآن الكريم يرسم هنا النفسية الصعبة، التي كان يعانيها الرسول (ص) في سبيل الدعوة والإرشاد.

ولاشك أن هذه الحالة النفسية، ينطوي عليها كل داعية إلى الله!

بل ينبغي له.

لأنه الألم الذي يتحول بفضل الله وعونه إلى نار في صدره تؤجج لديه الشوق والعشق، بدعوته ومريديه!

قد شغف بهما حباً .

(الشمس الثالثة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾طه: ٢٥

دعاءٌ!

يستهل به الخطباء المفوهون والدعاة الموفقون!

ويمتد الأمر ليشمل المعلم في مدرسته، والأستاذ في جامعته،والجندي في موقعه!

الكل يؤدي وظيفة الإرشاد مهما كان علمه، وأياً كان عمله.

والكل يبدأ يومه وصباحه بالدعاء، ليقينه أن الكثيرين، اهتدوا بالدعاء والتضرع القلبي الخالص.

فالدعاء سلاح المؤمن الأول، وحصنه الحصين.

والنبي(ص)دعا الله أن يهدي ابن الخطاب، فإذا به وفي يوم ليس بالحسبان، يتشرف بالهداية.

وفي رواية لأبي هريرة:

(كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله(ص)ما أكره.

فأتيت رسول الله(ص)وأنا أبكي؛ قلت: يا رسول الله!

إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبي علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة.

فقال رسول الله(ص):"اللهم أهد أم أبي هريرة ".

فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله (ص) فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي!

فقالت: مكانك يا أبا هريرة!
وسمعت خضخضة الماء.
قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب.
ثم قالت: يا أبا هريرة!
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
قال: فرجعت إلى رسول الله، فأتيته وأنا أبكي من الفرح.

(الشمس الرابعة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ .... ﴾فصلت: ٣٠

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾

_إيمان صادق!

اليوم ينفع صاحبه، وغداً!

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾

الأنعام: ٢٣

﴿ قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾

_أيمان كاذبة!

إن نفعت مدعيها اليوم، فلا تنفعه غدا!

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾

الآن ! الآن !

وقبل فوات الأوان .

فلا تقية، ولا تلميح!

بل إعلان وتصريح!

إعلان للتوحيد، ودعوة إليه.

ورفع راية الدين، حتى لا تظهر فوقها راية.

﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾

في الندوات والمؤتمرات، في المؤسسات والهيئات، المؤمن لا يخجل من إعلان تدينه، أو يخفيه .

ففي حله وترحاله، وفي كل أحواله، يفتخر انه مسلم !

وانه من أمة محمد(ص).

ولا تجد منه إلا:

_السلوك الإسلامي !

_والانتماء الحضاري!

_والصبغة الربانية!

فإذا افتخرت الأمم بالتفاهات والفلسفات المادية والفكرية، افتخر المؤمن أن دينه من رب الكون كله.

﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾

حق التحلي!

﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾

ثم صدق التخلي!

وصولاً إلى وعد التجلي!

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

هي إذن:

بذرة !

ثم فلاحة !

فثمرة وحصاد !

كان إبراهيم(ع) أمة!

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾

هذه حالة (التحلي).

﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ هذه حالة (التخلي).

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ هذه حالة (التجلي).

وكان سيد (رحمه الله) أمة!

قال ربي الله!

هذه حالة (التحلي).

ثم كفر بالطاغوت!

هذه حالة (التخلي).

فاصطفاه الله، واتخذه شهيدا!

هذه حالة (التجلي).

(الشمس الخامسة عشر)

﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾

هي من المؤمن:

إقرار ثم التزام !

شهادة ثم وفاء!

أمام ربه ونفسه والناس أجمعين.

إستقامة صادقة، وحقيقة واقعة، يجسدها المؤمن في حياته:

_عقيدة وسلوكا!

_ظاهرا وباطنا!

_سلما وحربا!

_فردا وفي جماعة!

استقامة على توحيد الله-معرفة وتعريفا-في ربوبيته وألوهيته،

وما يتفرع عنهما، من معان رفيعة سامية.

كعبادته تعالى بما له من أسماء حسنى، وصفات على!

إثباتا لها، ودعاءً بها، وسيراً بأنوارها إلى الله.

وهنالك يتحقق أمران:

_مسلم على الحقيقة !

_وعد الله له بالأمن، وعدم الخوف والحزن في الدنيا والآخرة !

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾

وهنالك إقليم الشموس، وأفق القرب، فيه:

_الألطاف الإلهية تتنزل غدقاً!

_والأزهار لا تذبل!

_بل ربيع دائم مقيم مزهر.

هذه الديمومة وعدم الموت، حقيقة واقعة يعيشها العبد المؤمن الذي أكرمه المولى بالاستقامة.

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾

طمأنينة وسكينة وراحة بال، ترافق العبد المستقيم، فلو ألقي به في النار، لا تجده إلا مردداً:

"علمه بحالي يغني عن سؤالي "

ولو علق على المشانق، لا تجده إلا مردداً:

"أخي ستبيد جيوش الظلام

ويشرق في الكون فجر جديد

فأطلق لروحك إشراقها

ترى الفجر يرمقنا من بعيد ".

(الشمس السادسة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

ها هي ثمرات الاستقامة تتابع واحدة بعد واحدة!

كتتابع زخات المطر، وحبات الثلج.

لمن؟

للذين استقاموا في سلوكهم وتصرفاتهم ولم ينحرفوا إلى الحيلة أو الخديعة وتبرير أخطائهم.

"ولم يروغوا روغان الثعالب" كما قال ابن الخطاب(رض).

لهؤلاء فقط، تتنزل عليهم الملائكة بالرضا!

بعد الصدق والوفاء، في الظاهر والخفاء.

_لا قلق!

_لا خوف!

من عدم الوصول إلى الاستقامة التامة.

_لا حزن!

_لا ضرر!

من التهم التي يطلقها المنحرفون.

طالما والمؤمن، قد بدأ خطواته الأولى على خط الاستقامة.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾

ملائكة تتنزل بالألطاف الربانية:

١.لا تخافوا يا أهل الاستقامة !

ولا تحزنوا فان لكم كل الكرامة!

٢.لا تخافوا فلستم من أهل الجحيم!
ولا تحزنوا فقد وصلتم إلى الرب الرحيم!
٣. .....
فالشعور بعدم الخوف والحزن !
والنجاة من غضب الله وعذابه !
والبشرى بجنته وولايته الربانية !
شعور جميل جدا !
شعور بالأمن الروحي، والسلام الوجداني، يفيض بالقلب المؤمن الصادق .
هذا وإن العبد الكريم على الله، ليجد:
_كمال كرمه تعالى في نفسه!
_جمال رحمته؛ نوراً ينبعث من صدقه!
_جلال رعايته، أثناء سيره وإقباله على ربه، وسيده، ومولاه!
ولسان حاله:
"لنر مولاي ما يفعل
ما يفعله هو الأجمل".

(الشمس السابعة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

الاستفهام بمعنى التحدي!

أي إذا كان عندك شيء أحسن من هذا فأت به.

(الله)!

هو غاية العبد الداعية إليه، والهدف الأسمى لدعوته.

دعوة إلى(الله)جل جلاله وجماله وكماله!

توحيداً وتفريداً وتجريداً!

قولاً وفعلاً وحالاً!

والمرء حيث يضع نفسه:

_يكبر المرء ويعظم، إذا دعا إلى الله.

_ويصغر ويحتقر، إذا دعا :

لنفسه أو لقومه!

ولقد مات رسول الله(ص)ودرعه مرهونة بدين، ولم يدع لقومه.

فقال(ص):(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)

_لا ضير!

_لا ضرر!

إن يكون الداعية ضمن أي تنظيم دعوي،مادامت أصوله العقدية سليمة

ومادام منهجه الدعوي مستقيما على الكتاب والسنة.
ولكن الحذر من دعوة الناس إلى التنظيم في مقام الدعوة إلى الله.
فإن لكل مقام مقال.
وكما أن الإيمان درجات، فكذلك الناس.
وأصل المسألة؛ جعل التنظيم أو الجماعة خادمة ومسخرة للدعوة إلى الله ،وما يتفرع عنها، من:
_عدم الشرك بالله!
_نبذ الظلم!
_الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!
وعندئذ فقط تختفي هذه التساؤلات، أو الاشتراطات:
_ما جنسية خطيب الجمعة؟
_مصري أم يمني؟
ما جماعته ،أو انتماؤه؟
_زيدي أم سلفي أم إخوان؟
فالكل قد انصهر في جماعة واحدة هي جماعة المسلمين.
والكل يتنافس في تقديم الأحسن!
قولاً وعملاً وسلوكاً .

(الشمس الثامنة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

إعلان صريح.

لا لبس فيه، أو تلميح.

الانتماء لكل المسلمين.

وإن الداعية أو الجماعة، هي من المسلمين.

جزء من كل.

ما أجمل أن يدعو الداعية إلى الله!

وأن يجيب إذا سئل من أي... ؟

﴿ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

آيات تبين الطريق!

وتحذر السالكين من مزلق خطير!

أن يصيروا فرقا وأحزابا!

وينسوا حقيقة أنهم من المسلمين.

آيات تشدهم إلى التجمع، لا التفرق!

وأنهم كلهم يغرفون من نهر الإسلام العظيم!

فالدعوة إنما هي لله، فإذا خرجت عن ذلك، أنتجت جماعات متفرقة، تقدم مصالحها الذاتية على كل شئ.

وإن الداعية المخلص لا يتحدث عن نفسه، وإنما يتحدث عن الله معترفا بفضله ومدده !

ولا تجده إلا ممجداً لله !

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾

عابداً له في:

_سلوكه!

_دعوته!

_خطابه!

_وظيفته!

جاعلا من نفسه خادما للدين!

وليس الدين خادما له ولمصالحه.

فما أعظم الفرق بين شفق مشرق، وشفق غارب.

وإنهما سواء لمن:

_فقد الإحساس بالزمن.

_غاب عنه الإخلاص.

_اشترى الضلالة بالهدى.

_قدم نفسه على دعوته.

ما حل بمكان أو ارتحل، إلا أتخذه مصدراً لمصالحه الذاتية؛ ذاك مثل الشفق الغارب !

ومثل الشفق المشرق؛ ما حل بمكان أو ارتحل إلا أتخذه منبراً لدعوته.

(الشمس التاسعة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

هذا مبدأ ثابت من مبادئ القرآن، وعلى الداعية أن يثبت عليه.

_الخير والشر! الحمد لله لا يستويان.

_الحق والباطل! الحمد لله لا يستويان.

_المعروف والمنكر! الحمد لله لا يستويان.

_الكلام الطيب والكلام الخبيث! الحمد لله لا يستويان.

_الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، والدعوة بالتي هي أخشن.

الحمد لله لا يستويان.

ها هو يوسف(ع)لم يذكر لإخوانه الجرم الذي فعلوه به، وذكر ما سواه.

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ... ﴾يوسف: ١٠٠

وهذا الصديق(رض)!امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

النور: ٢٢

نجده يردد قائلا:
(والله أني أحب أن يغفر الله لي، والله لا أنزعها منه أبدا).
فنراه سريعا، يعيد النفقة لقريبه مسطح، بعد ما قال في أمنا عائشة (رض) ما قال.
وأنظر إلى من قابلوا الحسنة العظيمة، بالسيئة القبيحة الفاجرة!
هذا عثمان(رض)،يقتل عطشان!
على بعد خطوات من بئر رومه! التي سقي منها آلاف الصحابة والتابعين !
ولكنه الشيطان سول للمجرمين وأملى لهم.
كم نخطئ كثيراً عندما نظن أن السعادة في الأخذ ثم نكتشف متأخرين:
_ أن الأخذ بغير حق، طريق الشقاء!
_ و أن العطاء بغير من، طريق السعادة!
وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ___ جاءت محاسنه بألف شفيع.

(الشمس العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾

التصرف الحكيم يقلب العدو ولي حميم.

وإنما يقوم ذلك على قاعدة: دفع الشر بالخير.

ويتفرع عنها أمور صعبة على النفس، منها :

_التحلي بالصبر، والتغلب على الرغبة السريعة والجامحة في الانتقام

_عدم الانجرار، وراء استفزاز الخصم.

_الحلم، وعدم الايثارة أو الاستجابة لردود الأفعال.

_الحذر من التشنج والغضب للنفس.

_الحرص على نشر المحبة والإخاء.

_تقديم التنازلات، منذ البداية.

إن من يفقد منهج القرآن!

ويخطئ سنة الرسول(ص)!

فقد فقد صفة الداعي إلى الخير.

ولنافي فتح مكة، ألف عبرة وعبرة:

قال(ص):(ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)

وفيه ما فيه من دلالات،واضحة وجلية،الشدة حيناً،واللين أحايين كثيرة.

فتح باب التوبة على مصراعيه، بمصطلح اليوم، صفحة جديدة.

_هذا أبو سفيان-زعيم قريش.
_هذا عكرمة ابن أبي جهل.
_هذا صفوان ابن أمية.
وأمثالهم كثير ممن تلطخت أيديهم بدماء الصحابة الكرام.
ولقد اجمع الصحابة على القصاص من قتلة عثمان(رض)، وإقامة الحد فيهم.
ولكنهم كانوا قسمين:
_قسم يرى رأي علي(رض)،ويقولون:
إننا لا نقدر الآن على تنفيذ القصاص في القتلة، وعلينا أن نؤجل ذلك، حتى نتقوى عليهم.
_وآخر يرى الإسراع وعدم التأخير!
ومن هنا بدأت مأساة المسلمين.

عندما غابت ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

إن التأريخ يعيد نفسه!
فمتى نتعلم؟
ونأخذ العبر.

(الشمس الحادية والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

الشر كل الشر من الشيطان!

حقيقة كبرى، قد تنسى.

فوجوده خلقاً وفعلاً، ليس وهماً أو خيالاً!

يسعى بكل ما أوتي من قوة؛ لتضليل عباد الله!

وقديما قالوا:

"أعرف عدوك تنتصر عليه".

والداعية أكثر عرضة لغواية الشيطان؛ الممتلئ غيظاً منه.

من حيث انه يدعو إلى الله، فيقوم بهدم ما بناه إبليس اللعين.

والشيطان هو كل متمرد على الله: من الجن والإنس.

المتفرغون للكيد العظيم!

لا يدعون راية للخير، أو نية للإصلاح إلا أربكوها بقاصف الوساوس ونيران الفتن.

وأمام هذه المعركة الشرسة المستمرة على المؤمن!

عليه الانتباه والحذر، والقيام بما هو آت:

_تطهير مداخل نفسه من كل طرق خفي، شيطاني المصدر، وعلامته الأمر بالسوء أو الفحشاء.

_الفرار سريعاً إلى ربه ومالكه وإلهه.

مستعيذاً بربه السميع العليم!

مستجيراً بمالكه القوي العزيز!

مستغيثاً بإلهه الواحد القهار!

فالاستعاذة ليست كلمات تلقى في الهواء!

ولكنها:

_إتخاذ موقف من الشيطان.

_ إعلان معاداته، فهو عدو لله رب العالمين.

_التبرؤ منه ومن حزبه وأتباعه!

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾فاطر: ٦

فما أعظم الفرق بين:

إنني من المسلمين!

وإنني من الشياطين!

(الشمس الثانية و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠١

سرعان ما يعود المخطئ إلى الصواب، كلما اكتشفه إذا توفرت لديه:

_ الموضوعية !

_ الصدق في البحث عن الحق!

_ الإرادة الصلبة للنقد الذاتي!

_ التحكم الواعي في السلوك والاختيارات.

وإن في الخليفة ابن الخطاب خير مثل، حين أعلنها مدوية:

(أخطأ عمر وأصابت امرأة).

فإذا رافق الخطأ نية فاسدة، أو حرص على مصلحة ذاتية، تعذر الإصلاح، واستحال الرجوع!

فلا يجدي النصح ! ولا ينفع الحوار والتذكير!

إذ صار هوى النفس، ومصالح الدنيا،سدا منيعا يحول دون إتباع الحق.

وإن في الطاغية أبي جهل أسوأ مثل، حين زفر في أخر رمقه!

ورجل ابن مسعود على رقبته ليحتزها!

(لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم).

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾

وكل ذلك مرجعه إلى القلب:

وعاء الفطرة ونبعها!

أكان:

_صافيا أم كدرا.

_حيا أم ميتا.
_راضيا أم سخطا.
_خاضعا أم متمردا.

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

إن رسائل أبي العينين، هي رسائل منهجية تربوية عامة.
فإن أشارت إلى تقصير أو خطأ، فهو أول المقصرين ،وهو أول المخطئين .
مستحضراً قول الشاعر:
(الكل حسن إلا أنا
الكل قمح والتبن أنا)

(الشمس الثالثة و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾ الصف: ١٠ - ١١

آيتان من سورة الصف!

تدعوان إلى الجهاد!

فلا وحدة، ولا صف إلا بالجهاد.

الجهاد منبع الحياة ! وبدونه تتعفن الأمة وتفسد!

فتعيش حياة البؤس، والشقاء الأبدي!

مع سلسلة لا تنتهي من المخاصمات والمشاحنات والتكتلات والفرق!

ثمار من حنظل معنوي أشد مرارة من حنظل جهنم!

ولا خلاص من هذه الحالة المميتة إلا بالجهاد.

نعم!

انه النضال والكفاح مع شوق وعشق لإعلاء كلمة الله.

فالجهاد وجد منذ وجد الإنسان على الأرض.

وسيمضي إلى يوم القيامة.

شاء من شاء!

وأبى من أبى!

الجهاد شهادة لله!

والمجاهدون يسمعون الأرض والسماء هتافهم، وبأعلى صوتهم قائلين: "الله موجود" .

لقد باعوا وجودهم المادي من نفس ومال!

إنهم يحملون من الإخلاص ما يجعلهم مختارين من الله على ما سواهم اختاروا الميدان!

اختاروا الشهادة!

أقصر الطرق الموصلة لله تعالى.

بدلاً من آخرين ملئوا عقول آخرين بأكوام من غث وسمين!

لا يسمن ولا يغني من جوع.

"الله أكبر، فزت ورب الكعبة"

صرخة مدوية، أطلقها شهيد! خالدة، عبرت الزمان والمكان!

صرخ بها بن ملحان(رض)!

بالأمس كان سهم في الصدر، واليوم رصاصة في الرأس.

الله أكبر، فازوا ورب الكعبة .

(الشمس الرابعة و العشرون)

﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾البقرة: ٩٤

ما هو الموت؟

الموت!

الذي يتمناه العبد المؤمن ويفرح به ويأنس!

ما هو إلا موعد جميل، ولقاء جميل، مع رب جميل.

طمأنينة ينالها المؤمن فلا يضطرب ولا يقلق!

ويبتسم بوجه الموت الذي يرتجف منه الناس جميعا !

ويهش بما بعده من الحواجز والعوائق!

ويرى الموت أطيب نتيجة للوجود، وأكثر ما يغبط عليه .

هذا الذي فضل الموت على الحياة!

قد كشف عن سر الخلود! ووجد الطريق إلى العيش الأبدي.

فالطريق إلى الحياة العزيزة في الدنيا، والكريمة في الآخرة، يمر من معرفة ما هو جدير بالموت من أجله، وفي سبيله!

والموت خاتمة للحياة الجسدية فقط!

أما الروح فهو أبدي وخالد!

وعلاقته بالجسد، فعلاقة جوار مؤقتة!

الجسد الذي بدأ بنطفة قذرة؛ ينتهي بجثة نتنة!

فالتراب يعود إلى التراب.

وأما الروح فلا يتجزأ ولا يتحلل، ويبقى بفضل الله حياً إلى الآبدين!
فروح المؤمن! طائر خالد يستطيع التحليق إلى كل مكان!
وقد تجاوز عوائق الحياة الدنيا!

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾الإسراء: ٨٥.

يا قطرة سرمدية حبست في جرة!
جرة من تراب وطين!
ستتكسر ولو بعد حين!
آه ثم آه لو صرت إلى سجين!
أو طوبى لك في عليين !

(الشمس الخامسة و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ٩٦

ما العمر؟

العمر هبة إلهية كبرى!

ولكن شتان بين عمر وعمر!

فهناك من يعيش اللحظة! ولا يرى أبعد من أنفه!

نظرة خطرة وخاطئة للزمن والعمر !

فيمضي عمره من فراغ إلى فراغ!حتى ينتهي رصيده!

متلهف يجري وراء المتع الزائلة، والمكاسب الفانية!

كالوحوش والكلاب، تجري وراء فريستها التافهة!

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ٣٢.

لا يرى الدنيا إلا مقداراً من المال، ومقداراً من العافية!

حتى صارت عنده صنماً يعبد من دون الله!

ولتفاهة حياته!تصير الألف سنة كاليوم لا فرق.

ورب حشرة عاشت لبضع لحظات أو لأيام، أزكى عمراً ممن عمر ألف سنة.

قال الرسول الكريم(ص): " مالي وللدنيا ؟

ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"

وأما الذين عرفوا حقيقة الدنيا!

الذين استفادوا من عمرهم واستثمروه بأعمالهم المملوءة بركة وفيضاً .

عمر مبارك!ولو كان لساعات أو للحظات!

_فهذا سعد بن معاذ !

أسلم وعمره ثلاثون سنة!

ومات وعمره ستة وثلاثون سنة!

بربك يا سعد أخبرنا! ماذا فعلت في ست سنوات؟!

ليهتز لموتك عرش الرحمن!

_وهذا الإمام البنا أستشهد وعمره ثلاث وأربعون سنة!

ومازلنا نراه هنا وهناك!

يحرك الأحداث المعاصرة!

ويهز الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، هزاً في كل مكان!

هؤلاء الذين كسبوا الدنيا والآخرة.

(الشمس السادسة و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾آل عمران: ١٤٦

آية السلوى!

من الله المولى!

تذهب الهم والبلوى!

آية كريمة، تذكر الربانيين، الذين لا يسكنون لا في ليل، ولا في نهار!

يبتغون مرضاة ربهم، ويبذلون كل غالي ونفيس في سبيله.

مستمرون في جهادهم النابع من صميم قلوبهم، فلا يؤثر فيهم شئ مهما عظم وتصور!

هم أبطال الصبر والثبات.

فالصبر مغروز فيهم وهو وسيلتهم لجلب رحمة الله عليهم!

وذلك لأن الله يحب الصابرين!

الآية الكريمة وما بعدها،ترسم لنا طريقاً سوياً لجلب محبة الله ورضاه ثم كرمه ورحمته ونصره!

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾آل عمران: ١٤٧

فالآثام مانعة وعائقة لنزول الرحمة الإلهية، فالتوبة والمغفرة تقدم على طلب النصر!

آيات صريحة!

كونوا ربانيين!

فكل نبي يربي في أمته الربانيين، الذين يمثلون دعوته، ويسيرون على نهجه! ويسلمهم رآية الجهاد!

_ فالصحابي رباني!

_ والحواري رباني!

_ والمجاهد في سبيل الله رباني!

في الليل تجده زاهداً عابداً !وفي النهار بطلا يلقي الرعب في الأعداء!

وما ذاك إلا لأنهم عشاق الموت في سبيل الله.

"سأثأر لكن لرب ودين

وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام

وإما إلى الله في الخالدين".

(الشمس السابعة و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ النساء: ١٤٣

المنافقون بين الكفار والمؤمنين!

تارة تراهم هنا وتارة تراهم هناك!

يحسبون أن حياتهم الدنيا!

هي الحياة!

والحياة هي!

وهي الفرصة السانحة؛ التي لا ينبغي أن تفلت منهم.

ولذلك تراهم في حمى الإنكباب على لذائذ هذه الدنيا؛ لا يفرقون بين الإيمان والكفر!

فهما سواء.

_أينما وجدت المتعة، والحياة الناعمة المرفهة، ذهبوا إليها.

وعندما يرون مصلحتهم في الذهاب إلى المسجد،يذهبون إليه.

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾

هنا لا مشكلة! طالما وفيه المصلحة.

﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ ﴾

_وأما هنا!

إذا ضاعت منافعهم ومصالحهم!
قاموا وتركوا الطاعة والصلاة والدين.

هم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾النساء: ١٤٢

يصلون خلف الكعبة المشرفة، والحجر الأسود!
كما صلوا من قبل خلف رسول الله(ص)!
ولكن:
_بعيون عمياء لا ترى!
_وآذان صماء لا تسمع!
_وقلوب ظلماء لا تفقه!
خيبتهم الكبرى، وفساد أمرهم؛ يكمن في عدم الإخلاص والتصديق .
وفي سورة نزلت بأسمهم" المنافقون"؛ ليس تشريفاً لهم!
ولكن تحذيراً منهم، وتحقيراً من شأنهم!
دائماً ما كانوا يوصفون فيها:
_(لا يعلمون)
_(لا يفقهون)
ولا يوصفون بأوصاف الكافرين:
_(لا يعقلون)
_(لا يتفكرون).
وهو شر لهم لو كانوا يعلمون أو يفقهون.

(الشمس الثامنة و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ... ﴾التوبة: ٤٩

المنافقون يضعون الشروط والمقترحات والموانع، لإجابة دعوة الرسول(ص).

جهاداً ناعما يطلبون!

وفق أمزجتهم التالية :

_نزهة قصيرة، لا سفراً طويلاً!

_جواً جميلاَ رائعا، لاجواً حاراً!

_وقت فراغهم، لا في موسم حصادهم!

_مع ورع كاذب ألا يتعرضوا لفتنة النساء !

ومنهم كان مثل سوء؛ إنه جد بن قيس!

كان يسرع إلى الصلاة بمجرد سماعه الآذان، ولكنه لم يوفق من غرز الإيمان في قلبه، ولم يترفع عن أهواء نفسه.

فبينما الرسول الكريم يعالج فرسه بيده الشريفة،رأى جدياً قادماً ليعتذر قال النبي(ص)مستغرباً:

حتى أنت لا تأتي معنا؟

إذ لم يكن ينتظر منه التخلف!

بل كان ممن حرموا هذا الشرف العظيم!

وكان أبعد من ذلك!

كان وقحا، قليل الأدب والحياء!
تقدم بكل دناءة واحتقار إلى الرسول(ص)، قائلا:
يا رسول الله ،أو تأذن لي ولا تفتني، فو الله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر، أن لا أصبر عنهن.
هؤلاء القوم على إستعداد لعمل أي فعل قبيح، يخلصهم من شرف الجهاد وقول كلمة الحق!
مستعدون لكشف عوراتهم الأمامية ،وبأعلى صوتهم يصرخون:
_نعيش صراصير!
ثم يستديرون لكشف عوراتهم الخلفية صارخين:
_نعيش طراطير!
لا يهم!
المهم دعونا نعيش!

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ... ﴾.

(الشمس التاسعة و العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠

المنافقون يبتعدون بل ويهربون!

وعلى أعقابهم ينكصون!

عندما تبدو أن هناك مسؤوليات وأعباء وأضرار وخسائر في الظاهر!

فيسعون ليجدوا طرقا للهروب ووسائل للتخلف، ولا يجدونها إلا في الكذب! وخلق الأعذار لخداع أنفسهم أولا!

ثم الله والمؤمنين!

ولكن لماذا يخادعون هذا الخداع؟

لأن:

_في قلوبهم مرض!

_في طبيعتهم آفة!

_في قلوبهم علة!

كل ذلك يجعلهم مستحقين من الله، أن يزيدهم مما هم فيه:

فزادهم الله مرضا !

فالمرض ينشئ المرض!

والانحراف يبدأ يسيرا، ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد!

سنة الله كما هي في المحسوسات!فهي كذلك في المشاعر والسلوك!

فالفجوة تتسع رويدا رويدا والمرض يزداد !

والجزاء من جنس العمل.

زادهم الله مرضا، لأن نياتهم ملوثة بالشر وحب المعصية!

وكلما وجدوا الفرصة مواتية،حاولوا تحقيق نياتهم الشريرة!

فالنيات السيئة ولدت نيات سيئة أخرى!

فهم في حلقة مفرغة، وهم فيها هلكى !

ويصل الحال بهذا المنافق أن يصنع من خلال وهمه، وخياله المريض، عالما خاصا به!

عالما مظلما من الشك والريب، لا يرى فيها الحقائق!

وإن كانت كالشمس الساطعة!

لقد فسدت فطرته، فأصبح:

لا يبصر!

لا يسمع!

لا يعقل!

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾الأعراف:١٩٨ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾الحج: ٤٦.

(الشمس الثلاثون)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾البقرة: ١٨

_هذه للمنافقين!

والعلة واضحة جلية!

لا يرجعون لفطرتهم الأصيلة السابقة!

لا يرجعون إلى فطرة خلقهم السليمة!

إن كانت لا تزال سليمة، لم تفسد بسوء أعمالهم، وما تكنه صدورهم!

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾البقرة: ١٧١

_وهذه للكافرين!

علتهم!

عدم استعمالهم لعقولهم!

لا يعقلون!

ولا يتفكرون!

ولو تفكروا قليلا لوصلوا إلى الإيمان بسهولة!

هذا خالد ابن الوليد وأمثاله من كفار مكة!

كم أذى رسول الله(ص)،وأصحابه الكرام، وسامهم العذاب لسنوات طويلة!

وعندما سنحت لهم الفرصة، والجو الهادئ بعد صلح الحديبية!

استعملوا العقول المغيبة لسنيين عديدة!

وفي لحظات قصيرة!

زال الركام والقمام !
_ فأصغت أذان كانت صم!
_ ونطقت السن كانت بكم!
_وتفتحت أعين كانت عمي!
لقد عرفوا الحق!
عرفوا أنهم كانوا على خطأ كبير!
تركوا عنادهم القديم!
وكفروا بماضيهم اللئيم!
وانطلقوا ينصرون الدين، ويدافعون عن الرسول الكريم(ص)،يفدونه بأرواحهم! ومهجة قلوبهم!
يبكون البكاء المرير، ويعتصرهم الألم الشديد، على ما فرطوا في جنب الله ورسوله!
فأبلوا البلاء الحسن،في الدفاع عن الدين،وقتل المرتدين،وفتح الأمصار علها تعوضهم خسارة تأخرهم في الالتحاق بموكب الإيمان!
أو تزيل عنهم مرارة ما ارتكبوا من آثام وعصيان!
لما حاربوا واهمين!
_إطفاء نور الله!
_والقضاء على المسلمين!

التفاخر!

هو سبيل المجرمين المتكبرين!

ووسيلتهم الشيطانية للتمرد والعصيان لأوامر الله عز وجل!

هي إذاً علة العلل , ومبدأ الزيغ والزلل.

فعجباً لمن كان أصلة من طين , ونسله من ماء مهين!

كيف يتكبر أم بماذا يفتخر؟

إنما هو جرة من طين , ستنكسر بعد وقت وحين.

يا جرة فيها قطرة ستخرج قريباً!

إما صعوداً إلى عليين , فيا للمسرة يا للمسرة!

وإما هبوطاً إلى سجين , فيا للحسرة ثم يا للحسرة.

فمن كان لا يعلم مصيرة .. كيف يتفاخر!!